شعرية السرد الشعبي
قراءة في يوميات "الصوشي ورهواجة" للكاتب: سعد نجاع

د. سوسن ابرادشة

جامعة الجزائر 02

تاريخ الإرسال: 2020/12/24	تاريخ القبول:2021/01/07

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان شعرية السرد الشعبي، من خلال التعمق في فهم شكليات اللغة الشعبية وجمالياتها الفنية؛ فالأدب الشعبي هو تاريخ الشعوب والأمم، وهو صورة لروحهم العامة وشعورهم المشترك.

وقد سعينا في هذه الدراسة إلى قراءة سوسيو نقدية في كتاب "**يوميات الصوشي ورهواجة**" للكاتب الجزائري **سعد نجاع**، وهو ما سيساعدنا لولوج عوالم التراث الشعبي، وتفكيك سحره اللغوي، وفك الإبهام عن أسراره وخباياه.

الكلمات المفتاحية: شعرية السرد، اللغة الشعبية، يوميات "الصوشي ورهواجة"، سعد نجاع.

Abstract:

This study aims to clarify the poetry of folk narration, through a deeper understanding of the formalities of the popular language and its artistic aesthetics. Popular literature is

the history of peoples and nations, and it is an image of their common spirit and common feeling.
In this study, we sought to critically read Socio in the book “Diaries of the Sawchi and Rahwaja” by the Algerian writer Saad Nagaa, This will help us to enter the worlds of folklore, deconstruct its linguistic charm, and decipher its secrets and mysteries.

Key words: Poetics of Narration, Popular Language, Diary of "Sawshi and .Rahwaja", Saad Nagaa

البحث:

مقدمة:

يعتبر السرد الشعبي نشاطا إنسانيا مستمرًا باستمرار الوجود البشري، قابلا للتحوير والتطوير، حاله حال السرود الأدبية الأخرى[1]، فمن خلاله يمكن أن تُحفظ الذاكرة ويُكتب التاريخ، ويروى بعد ذلك بالشكل الصائب.

ولعلنا في ولوجنا عوالم السرد الشعبي ومحاولة قراءته والتعمق في شعريته، نكون قد فتحنا بابا يخبئ من وراءه أسرارًا وحكايات غفل عنها السرد الأدبي الفصيح، ألا وهي اللغة الشعبية المندثرة في الأزمنة الغابرة، والتي تحمل أصول الشعوب وهوياتها الحقيقية.

إنّ الأمر الذي أضفى على هذه الدراسة السوسيو نقدية نكهتها وجمالها هو طبيعة المدونة السردية التي جاءت منظمة في شكل رؤى وتصورات، فرضت علينا دراستها

1 نجد في تعريف السرد أنّه "الطريقة التي تحكى بها القصة، وهو ما يقال عند سردًا، ويندرج في مفهوم السرد أنواع مختلفة ومتعددة من النصوص، فمنه: السرد الروائي، السرد المسرحي، السرد الشعبي، السرد الخيالي..." وكل يتميز باللغة التي يُكتب ويُقال بها، وبالأسلوب الذي يروى به، فيعطيه الطابع العام الذي يحدده، فيمكن للسارد اختيار الفضاء السردي الذي يرغب بتبليغه من خلال أسلوبه اللغوي.

وتختلف الأنواع السردية عن الأشكال السردية: (السرد المتقطع، السرد المتسلسل، السرد التناوبي) التي تُسمى بتقنيات السرد وتتشكل أثناء كتابة القصة وحسب مجريات أحداثها، لذلك لا يمكن أن نخلط بين المفهومين.

وتمحيصها من الناحية البنائية والدلالية، ومقاربة الخطاب السردي الشعبي، والتعمق في دراسة شعريته، ووسائله، وشخصياته، وخلفياته الزمنية والمكانية، ف: "يوميات الصوشي ورهواجة"[1] للكاتب الجزائري: سعد نجاع، هي تاريخ ممتد لحاضرة عميقة في تاريخ الجزائر، ولو أنّها جاءت من أصول مختلفة تمام الاختلاف عن سكان المنطقة الأصليين، بعيدة كل البعد عن جغرافيتها الشاسعة الواسعة، إلا أنّها انصهرت مع الحواضر الجزائرية المختلفة، فتشكلت منها قبائل شبيهة بالشعب الأصلي لهذا الوطن، حافظت على لسانها العربي الفصيح لكنها حملت عادات وتقاليد الشعب الأمازيغي على اختلاف أمصاره، فسكنت بجوار الشاوية، والتارقية، وبني ميزاب، وتصاهرت معهم واختلطت دماؤهم من أجل تأسيس وطن واحد، وإعلاء راية واحدة، فكانت هذه الدولة العظيمة.

إننا حين نقرأ لسعد نجاع، نقرأ التراث الشعبي لمنطقته[2] التي اقترن بها اسمه فراح يسرد كل الحكايا والأحداث التي تخصهم، غير متناسيا لأدق التفاصيل، مستعينا في ذلك بلغة قومه الخاصة بهم، وهو ما سنركز عليه في دراستنا هذه.

1 سعد نجاع: يوميات الصوشي ورهواجة / "54 مشاكسة"، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، ط1، 2020م.

2 منطقة بريكة الواقعة بولاية باتنة شرق الجزائر، وسكان أصلها من "أولاد سحنون"، نسله كان من عبد الوهاب المولاتي، أما نسله المتسلسل فهو: سحنون بن بالقاسم بن شينون بن عبد العزيز المولاتي ونسلهما: مولات و سحنون، يعود إلى ناصر أو منصور بن احمد البصري بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن جعفر بن عبد الهادي بن عبد الله بن سعد بن المهدي بن خليفة بن عبد القادر بن موسى بن زيد بن الحيثر بن علية بن صالح بن كعب بن زكرياء بن طلحة بن الزبير بن العوام ﷺ.

في بداية القرن السابع عشر ميلادي ، جاء من قبيلة أولاد مولات من نواحي تقرت والتي أصلها من قبيلة سعيد الرياحية الهلالية، رجل اسمه سحنون بن شينون إلى جبال بوطالب ، كتاجر عند سيدي بركات بقنيفة، هناك تزوج بامرأتين ألا وهما: هنية وبروكة. أنجب من هنية : مُحَمَّدْ ، عبدالله ، عمّار ، علي ، سليمان ومسعود.

ومن الثانية أنجب : عبد الرحمّن ،أحمد و مبارك، بعدما كبرت العائلة ،ذهب وأراد الاستقرار أولا في مقرة الواقعة حاليا بولاية المسيلة على حدود منطقة بريكة، عند أولاد زميرة وفي ذلك الوقت كانت تستوطنه القبائل التالية: أولاد عُمُر، أولاد نجّاع، وأولاد منصور، وأولاد سليمان، تحت قياد "علي باي" من عائلة "بوعكاز الذوّادية" بِبَريكة التي كانت تحت الوصاية العثمانية. ونتيجة للصّراعات بين القبائل المذكورة آنفًا، والتي لا يتسع المقام لذكرها تم بهم المقام نهائيا ببريكة ونواحيها، وهم اليوم يتكونون من الفرق التالية : أولاد محمّد، أولاد عمّار ، أولاد عبدالله ، أولاد أحمد ، أولاد شريفة ، العيادات ، ثعالب ، العامرة ، درامنة ، أولاد مبارك." نقلا عن الموقع الإلكتروني:

وللبحث في شعرية السرد بصفة عامة، وجب علينا البحث في عديد من الوسائل والتقنيات التي يعبر من خلالها الكاتب، لخلق مدونته كاملة، وذلك انطلاقا من البحث في شعرية العنوان، شعرية اللغة، شعرية الأسلوب السردي وهو ما سنقدمه في هذه الدراسة.

1. شعرية العنوان:

يُعتبر العنوان من أهم العناصر المُشكِّلة للنص الأدبي، بالرغم من أنَّه عرف في فترة سابقة إهمالا كبيرا لدى النقاد، لأنّهم اعتبروه هامشًا لا قيمة له وملفوظًا لغويًا لا يضيف شيئًا إلى قيمة النص الأدبي.

ولولا الدراسات النقدية الحديثة؛ التي أشارت إلى أهميته وقيمته الفنية والجمالية في النص الأدبي كَكُل، لـــمَّـا أحدثَ العنوان هذه الضجة النقدية في أوساط المهتمين بالنقد الأدبي.

إذ يمثل العنوان "جزءًا من سلطة النص وواجهته الإعلامية التي تمارس على المتلقي إكراها أدبيا، كما أنه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه، فهو النواة المتحركة التي خاط بها المؤلف نسيج النص، دون أن تحقق الاشتمالية وتكون مكتملة"[1]، ومن ثمة أصبح العنوان إشكالية ، يستدعي من الكاتب التريث في وضعه واختياره، ومن النقاد تدقيق وإمعان النظر في شعرية تركيبه وأسسه البلاغية

/https://ar-ar.facebook.com/ness.barika/posts/655842487855025

تاريخ الزيارة: 2020/12/20م، الساعة: 12.20سا.

1شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م، ص: 10/9.

والتبليغية، ذلك أنَّ العنوان هو الأثر الذي يعرف به الشيء، وهو العتبة الأولى التي يطأها القارئ، بحيث يكون رمزيا مكثفا محمولا بدلالات، وموحيا متعدد الأشكال.

وبنظرة متأنية لعنوان مدونتنا السردية الشعبية، نلحظ أنّ العنوان جملة اسمية وهو ما يشير في ظاهره إلى نوع من الثبوت والاستقرار في كتابات السارد "سعد نجاع"، ولدى الفحص الدلالي للتشكيل العلامي لهذا العنوان، نجد أنَّ الثبوت الذي تفرزه هذه الجملة الاسمية هو ثبوت تمويهي؛ لأن دلالة المفردات المتشكلة توحي معظمها بحركية داخلية كامنة، تُمكن الكاتب من تأسيسها بألغام دلالية فاعلة في خفاء وسرية، لا يلبث أن يعلن عن حضور صريح ليس في العنوان وحسب، بل في مضمون عمله السردي كذلك؛ حيث تتكون البنية التركيبية لعنوان "يوميات الصوشي ورهواجة " من ثلاث دوال ظاهرة (مضاف ومضاف إليه ومعطوف عليه)، قامت فيه الإضافة بوظيفة التعريف، إذ أنّ الدال الأول نكرة، وبإضافة الدال الثاني والثالث: "الصوشي / رهواجة" إليه أصبح معرفا، إلا أنّ هذا التعريف ليس سوى من باب إضافة وإحالة المجهول إلى المجهول؛ لأن التضايف بين هذه الدوال الثلاثة يعمل على تعميق المفارقة الناتجة عن إضافة المجهول "يوميات" إلى الأكثر مجهولية وغرابة وانزياحا عن اللغة العربية الفصيحة، وبداية ولوجه السرد الشعبي الذي يقصده فكان الاسمان "الصوشي ورهواجة".

وإن تم تعريف الدال الأول بواسطة إضافة الدال الثاني إليه تعريفا تركيبيا، فإنه ذكر أيضا اسم الذوات التي نريد معرفتها فتمددت الدلالة وتولدت من العنوان عدّة تخيلات وتأويلات، وهو ما يجعل القارئ يلوذ بالمتن باحثا عن هذه اليوميات وعن معاني الاسمين الغريبين عن اللغة العربية.

يحيل الدال الأول من العنوان "يوميات" إلى ممارسات تحدث كل يوم وتدون في الذاكرة كما لو أنها سيرة ذاتية، وهو ما يؤسس لبداية الأحداث، وللتشكيل الروائي، والبناء السردي ومضامينه، "فهي رواية وهي يوميات تتنوع بتنوع مضمونها من تأريخ الأحداث اليومية إلى الكتابة الحميمية، ومن الملاحظات على الكتب المقروءة إلى تدوين الأفكار الأخلاقية والسياسية والاقتصادية"[1] وغيرها، إلى تصاعد الحدث، وتأزم المواقف، وتأجج الصراعات، وهو ما سيجده القارئ مبثوثا بالفعل في النص، فهو سيرة ذاتية للدالين "الصوشي ورهواجة"، وهما ما وجب معرفة معنى كل اسم منهما، فالصوشي هو اسم يطلق على المولود من جنس الذكر في منطقة الحضنة وما يجاورها، وهي كلمة غريبة عن اللغة العربية لا ندري معناها الحقيقي باللهجة المحلية الدارجة، أما عن "رهواجة" فهو اسم يطلق على المولود من جنس الأنثى، وتكنى به البنت التي تكون والدتها فقدت قبلها أبناءها أي لم يعش لها مواليدها، فتسمى رهواجة لتعافها الناس ولا يصيبها حسد فتموت مثلهم[2]، ويمكن أن يكون القصد منه هو الرهج أي السم.

إن دال "يوميات" يشتغل على التعدد والانشطار من حيث تركيزه على الزمن، وعلى الذاكرة، وعلى تجزيئه للأحداث بمفصلتها إلى أحدث يومية غير متصلة، كما أنه يعمل على تهيئة المتلقي وفتح شفرة الاستقبال لديه، وبالنظر إلى الجزئية المردفة للعنوان بشكل مصغر يقبع تحته بعنوان مفصلي آخر هو: "54 مشاكسة"، فإننا نوسع الانشطار الدلالي بشكل مكثف حيث تتحول اليوميات إلى مشاكسات معدودة.

1الطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، عربي- انجليزي – فرنسي، لبنان ناشرون، النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002، ص: 179.

2سعد نجاع: يوميات الصوشي ورهواجة، ص: 14

وهو ما يبين لنا أنّ السرد سيتأتي إذا على مدار 54 حكاية شعبية، والتي وصفها الكاتب بالمشاكسة، ليبدأ الاشتغال بعد هذا الوصف على الإثارة السيميائية والفكرية للمتلقي، وتحريك الأنساق الثقافية في ذهنه عن يوميات عجوزين من منطقة نائية ومعزولة وبعيدة كل البعد عن مظاهر التمدن والتحضر، بإسقاط كل المعارف السابقة على الرواية التي كان لابد من ولوجها عبر شعرية عنوانها لنترجل نحو شعرية لغتها الشعبية.

2. شعرية اللغة:

تعدُّ اللغة عند **رولان بارت** العنصر الأهم في تحديد شعرية الأدب بصفة عامة، والرواية بصفة خاصة؛ وهو نفس ما دعت إليه الشكلانية الروسية، حين اعتبرت أنَّ أدبية الرواية تكمنُ في جمالية اللغة المكتوبة بها، فتغيرت نظرة الكُّتاب من الاهتمام بقولبة الأحداث وانتقاء الشخوص، إلى التركيز على جمالية لغة السرد الروائي مهما كان شكله أو جنسه.

وهو ما ميزَّ السرد الشعبي عن السرود الأخرى؛ بحيث يعتمد الكاتب على اللغة الشعبية كعامل رئيس، إذ تمثل هذه الأخيرة الوعاء المادي الذي يكتسب فيه البناء الروائي وجودا واقعيا، كما أنَّها مركز السرد وبؤرة الحكي وأهم من ذلك كله، فإن اللغة هي ما يحرر النص أو يقيده. فوحدها الألفاظ قادرة على التلاعب بالقارئ وشدِّه ولفت انتباهه ثم إرباكه ورميه داخل لعبة النص، فيضيع في متاهات السرد اللامنتهية.

فالبعد اللغوي في النص الروائي هو البؤرة التي تنطلق منها الأبعـــاد الأخرى وترتكز عليها، ولهذا البعد في السرد الشعبي خصوصية أكثر بسبب كثافتها الشديدة، ذلك أنَّ لغـــة الحكاية الشعبية ليست أداة تواصل بين الكاتب والمتلقي / القارئ،

بقدر ما هي أداة إنتاج يلجأ إليها الكاتب ليبوح بما يخالج مشاعره ويسكن في أعماقه وأعماق شعبه ومعارفه وأقاربه؛ ولذلك تأتي هذه اللغة كثيفة متدفقة، فتنساب الكلمات موحية ومعبرة، مشكلةً بذلك جملًا مليئة بالصور والانزياحات والدلالات المجازية، وهو ما ينعكس على المستوى الدلالي للنص الشعبي، فيتشكل الحدث الروائي على أعقابه.

ا- **اللغة المباشرة:** يتم الاعتماد في كتابة النصوص السردية الروائية على نمطين من اللغة، اللغة الشعرية واللغة المباشرة وتتميزُّ هذه الأخيرة بالوضوح والتبليغ والمحايدة، وهي اللغة الغالبة في كتابة النصوص الروائية بصفة عامة (الفصيحة والشعبية)، وهي أيضًا "اللغة المستخدمة في التاريخ، بحيث تقترب بقدر الإمكان من اللغة حين تكون في درجة الصفر، بكثافة الوعي فيها والتركيز على جوهر الحدث، دون اعتداد بالمتلقي، ودون محاولة التغليف بانفعالات ووجدانيات معرقلة لسير الخط المعرفي، أو مضللة له، فهي لغة مباشرة تسجيلية بكل ما تعنيه هذه التسجيلية "[1].

وأمثلتها في العمل الذي تمت دراسته عديدة، كقول السارد: "الصوشي رجل صارم وفي المقابل هو كبير العرش، لا يعقب على كلامه ولا ينتقد، طلباته أوامر وخاصة بين عائلته، هذا الأخير في العادة يزوج أولاده دون علمهم، حيث عاد ابنه البكر "الجمعي" ذات مساء من "التل" فوجد والده قد زوجه ببنت عمار المدعو "القوفالة" بعد شهور قضاها عاملا هناك.. حدّق في وجهها جيدا وسرعان ما وافق لأن اختيار والده لا يرّد، كانت بنت "القوفالة" شابة جميلة، حتى وإن تساءلت زوجة الصوشي عن جمالها قبل دخولها عروسا إلى بيتهم سيجيبها بعبارة:

ـ لاه تسقسي على الزين... وأنتي واش فيك يعجب؟؟

1ثناء أنس الوجود : قراءات نقدية في القصة المعاصرة، دار قباء، القاهرة، 2000م، د ط، ص: 55.

لهذا ستلتزم الصمت رغما عنها."[1]

فما يميز هذه الفقرة وضوحها، وسلاسة تعبيرها، وبساطة مفرداتها وتركيب جملها، وهو ما تكرر في نصوص عديدة منها أيضا:

"العرس في الريف أشبه بيوم النزهة بالنسبة لنساء القرية، أما بالنسبة للرجال فهو يوم راحة يقضيه الرجل بعيدا عن بيته بين جموع المدعوين يتبادلون فيه أخبار ارتفاع أسعار العلف وهبوطها، أما النساء فيكفيهن الحديث عن ما يدور بين الكنة والحماة والصراعات التي لا تنتهي ولا تفترق إلى على "المنتنة". نهض الصوشي صباحا فوجد رهواجة تسرح شعرها بزيت الزيتون وهي تنشد رائعة "حيزية" لابن قيطون: "عزوني يا ملاح في رايس البنات.. سكنت تحت اللحود ناري مقدياااا..."

– والله قَ فايدة هاذي... قالها الصوشي بسخرية.

– ياسيدي نهار طول وأنت تسابط فيا ق الخير؟

– وشني هاكي صبحتي تمشطي.. وين بيها؟؟

– كيفاه وين بيها.. يخي السعيد جارنا معرّس لابنو، ولا راك ناسي؟

– والعرس ذا، يخي مزالو سمانة ولا تعيدو قبل العيد بسمانة؟

–نبداو من ذرك وهاتنا ل خلصنا.. راك تعرف سلوكنا طوال

– هاذي ما قلطتيش فيها.. كي يعود كاين عرس الميتة فيكم تنوض."[2]

فقد اعتمد الكاتب بنسبة كبيرة على اللغة المباشرة في سرد يوميات "الصوشي ورهواجة"، ذلك أنَّها تســـاعد في نقل الأحداث والأفكار بدقة ووضوح شديدين، وبموضوعية بالغة خالية من أيّ مشاعر قد تؤثر على المتلقي، وليتساوى القراء في فهم

1سعد نجاع: يوميات الصوشي ورهواجة، ص: 13.

2المصدر السابق، ص:44

هذه الكلمات وبالتالي إدراك المغزى الحقيقي من وراء كتابة السيرة الشعبية من طرف السارد نفسه.

يقول أيضا: "الشتاء هو الفصل الذي يبحث فيه القرويين في أرشيف ملابسهم البالية عن قشابية، اختفت منذ ظهور بوادر الصيف.. أو لبرنوس كان يأخذ من زاوية دار الضياف مكانا معلقا بعمود كان قد أدرجه أحدهم على الحائط بضربات متتالية بمطرقة صغيرة.

كان يوما باردا بالنسبة للصوشي وهو ينظر صوب "شنقورة بوطالب"... الشنقورة التي تقول الرواية الشعبية أن جده سحنون جاء منها ذات يوم عندما وقف بين خيارين كانا "التل" أو "جَلف وحَي".. خياران كان قد أملاهما عليه الولي سيدي بركات بعدما علم بصلاح الجد سحنون والتمس فيه الخير، قائلا مقولته المشهورة: "والي ما يخدم والي.."

سحنون ألهمه بريق السبخة ودون شعور وافق على مضض بأن تكون الحضنة موطنه الأخير."[1]

إنَّ الألفاظ والتراكيب المستعملة من طرف الكاتب، سهلة وبسيطة، ويمكن للجميع فهمها واستيعاب معناها، ذلك أنَّ الشرط الأساس في استعمال اللغة المباشرة في السرد الروائي الفصيح أو الشعبي، أن تكون "واضحة مشرقة لا ترتفع إلى التوعر والوحشية، ولا تهبط إلى الركاكة والسوقية، فهي رصينة جزلة دقيقة خالية من التعبيرات الإنشائية الفضفاضة"[2]. وهو نفس ما يميّز لغة سعد نجاع الروائية الفصيحة والشعبية.

1المصدر السابق، ص: 122.

2يوسف عز الدين: عبقرية الفكر الروائي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998م، د ط، ص: 64.

ب– اللغة الشعرية: بما أنّنا اعتبرنا أنَّ اللغة في السرد الروائي تنقسم إلى اثنين، الأولى هي اللغة المباشرة الواضحة والأسهل للتبليغ، فإنّه صار لزامًا علينا أن نُفصِّل في الثانية ونحدد خصوصيتها هي الأخرى، لكن قبل ذلك تجدر بنا الإشارة إلى مفهوم "اللغة الشعرية".

يبدو أنَّ اللغة الشعرية، تختلف عن اللغة المباشرة من حيث أنّها تجعل النص يغرق في فيض التهويمات الشعرية، فهي تقترب إلى لغة الشعر من حيث أجواؤها التعبيرية والرمزية التي تُضفيها على الطابع اللغوي في العمل الأدبي، فاللغة التي تضفي جمالية على الرواية بوساطة الخرق الدائم لقواعد اللغة المعيارية، أي "عندما تؤسس العلاقات الجمالية لهذا النظام الجمالي المؤكد على تحويل مستمر للمسافات القائمة بين الدال والمدلول وخلق دلالة جديدة مشبعة بطاقة البث الإيجابي، هي لغة شعرية تستعير من النص الشعري إمكانيته التي تجعل القارئ يتعامل مع تلك الموجودات النصية (الكلمات / العلائق النصية) "[1] تعاملا شعريا يمنح السرد الروائي شعرية مميزة.

ومن أمثلة ذلك في يوميات "الصوشي ورهواجة" عديدة، منها:

" عاد "الصوشي" من المدينة بعد يوم قضاه في البحث عن قندورة كتان لزوجته رهواجة التي تفسد يومه أحيانا وتلطفه أحيانا أخرى..المرأة التي تملأ فراغ هذا الرجل الذي لا يكل ولا يمل من فتح باب الحوار معها والذي في الغالب ينتهي بالمكابشة بينهما..

عاد وهو يتأبط كيسا فيه ما يعيد لرهواجة بريق عينيها ويفتح لها شهية الحديث معه..

1جاسم خلف إلياس: اللغة القصصية / الشعرية في القصة القصيرة جدا، نقلا عن الموقع الإلكتروني: WWW.ALNOOR.SE، تاريخ الزيارة: 2020/12/19م، الساعة: 10.17سا .

كانت رهواجة تنتظر كل مساء هبوب ريح لظهراوي، فتخرج من البيت تجرّ كيس الشعير ومعه إناء الربعي، ثم تقف شامخة كنخلة سوفية وسط الطرحة تعكس اتجاه الريح، وهي تنثر حبات الشعير لتصفيها من السفا، ثم تلجأ للغربلة لنزع ما يسمى بالكرفة، بينما يقف الصوشي في العادة ببدلته الريفية المعروفة.. يلتحف شاشا أصفر في وجهه شهامة ذلك القروي..."[1]

إنَّ القارئ لهذه الفقرة سيجد نفسه تلقائيا يتعايش مع أفعالها، ويتخيل أحداثها، شاعرًا بنفس المشاعر التي شعر بها "الصوشي" حين اشتاق إلى شريكة عمره ورفيقة دربه "رهواجة"، فلجأ إلى الدهشة ثم التودد من خلال الهدية التي أحضرها لها، لكن كرامته لم تسمح له بتقديمها حال ولوجه عتبة منزله، بل راح يؤجج نار شوقه لها فقام بالنهر والصدّ ، عوض أن يعبر عمّا بداخله من ود ومحبة واشتياق اتجاهها، ولعلنا نجد أنّ الكاتب في هذا المشهد قد عبّر بصدق واضح عن مفهوم التعبير عن الحب والاشتياق في قاموس الرجل الجزائري، الذي لا تمكنه كرامته من التودد والتقرب للطرف الآخر/المرأة إلا بعد أن يريها قوته ورجولته من خلال جفائه ونهره لها عن أبسط الأمور، وهذا النوع يمثل فئة عريضة من عقليات الرجال الجزائريين.

ويتجسد لنا موقف آخر طغت عليه شعرية الكلمات، حين يقول الكاتب:

"عند وصول رهواجة حيث تواجد الصوشي، تقوم بربط البقرة وحين تهم بالانصراف يطلبها الصوشي قائلا: أرواحي ترا ساميني، وين راكي رايحة؟

خليني رايحة للدار..

اقعدي ساميني الدار مهيش هاربة.

امتثلت رهواجة لطلبه وجلست بجانبه، تزحزح الصوشي عن مكانه قليلا ثم قال:

1سعد نجاع: يوميات الصوشي ورهواجة، ص: 18.

وش من ضربة نجيبهالك؟

تاعش الضربة ذي سمله الرحمن الرحيم؟؟

ياودي واش من رنة تسمعيها...

ابتسمت رهواجة ابتسامة فيها الكثير من الحنية.. لم ير الصوشي هذه الابتسامة منذ تزوج بها..[1]

إن هذا المقطع يبين أنهما يجيدان العشق، لكن بأسلوبهما الخاص الذي يتميز بالغموض والبلاهة.

وعموما، فإنَّ الذي رصدناه في خصوصية اللغة المباشرة يكاد يكون مغايراً لخصوصية اللغة الشعرية، ففي مقابل النزول إلى المفردات الحياتية اليومية وكثرة التفصيلات، تصعد الشعرية إلى الكلّيّات الحياتية، وإلى التجريد المعنوي، وفي مقابل الحقائق التي تسكن اللغة المباشرة تميل اللغة الشعرية إلى توظيف المخيِّلة في التعبير عن الحقائق، وهو ما يُفقِدها بعض خواصها فتميل إلى الانسياب داخل السياقات الجمالية بالغة النعومة تارة، وبالغة الخشونة تارة أخرى، وأحيانا تجمع بين النعومة والخشونة تارات أخرى، وهو ما بدا جليا في كلا المقطعين الذين أوردناهما لتمثيل اللغة الشاعرية في الحكي عن شعرية اللغة الشعبية في رواية "يوميات الصوشي ورهواجة" للكاتب: سعد نجاع.

3. شعرية السرد الشعبي:

ا – شعرية الجمل القصيرة في السرد الشعبي:

بالرغم من أنَّه أسلوب شائع في كل الكتابات السردية الأدبية عمومًا، إلا أنَّنا نلمحُ تميزَّ الكتابات السردية الشعبية في توظيف أسلوب الجمل القصيرة، والذي

1المصدر السابق، ص: 59.

أضفى على اللغة الروائية شاعريةً وحيويةً أكثر، وهو ما نلحظه في رواية "يوميات الصوشي ورهواجة" في مثل قوله:

"دخل الصوشي للحوش مسرعا وهو ينادي:

وين راه الجمعي؟ وين راه الجمعي؟

خرجت رهواجة مفزوعة وهي تقول:

ق العافية.. ق العافية.. وش كاين؟؟

الجمعي عطاوه الديار؟؟

وين عطاوه ذا ق فهمني؟

عطاوه تاع البناء الريفي.

لاه ويكت دار دوسي هو؟

درتلو أنا ق شاو زواجو..

ياااا تخمم في الناس وناسي روحك

وينا ناس ذي.. يخي ابنك؟؟

والستوت هاديك ق ترحرح في البنية هاكذاك

وكي يعود عاطيلها ربي أنتي تنحيلها ول؟؟

نح لها ايه.. أنا أولى منها بديار السيمة.. لويكت وهي القنديلة تطيح عني.. والقروشة تاكل فيا.."[1]

فالجمل القصيرة التي استعان بها الكاتب لوصف هذا المقتطف السردي، جاءت واضحة ومباشرة لكنَّها أيضًا قوية ومعبّرة، وهو ما سهل للقارئ استيعاب المشهد رغم غرابة الكلمات الشعبية التي تخللت هذا النص.

1المصدر السابق، ص:83/82.

يقول أيضا: "أرواحي ترا ليا يا مخلوقة؟

ق الخير.. هاك نضت تقولك بايت مع أهل بسم الله؟؟

طارولك أهل بسم الله وقلتي عنهم لالا..

هيه برك واش دور؟

عيطيلي ترا لزينوبة؟

لاه واش بقيتها؟

اسيدي عيطيلها.. نحوس نشوف بنتي

مهيش عوايدك؟

زينوبة... زينوبة... واا زينوبة.."[1]

فالقارئ لهذه الأسطر يلاحظ سرعة سيرها الزمني وحتى الخطي، وبذلك يتفاعل معها، ويُسرعُ هو الآخر في قراءتها، ليصلَ إلى نتيجة الحدث؛ حدث اللقاء بين الصوشي وابنته زينوبة، وهذه هي الغاية من الاستعانة بالجمل القصيرة؛ ذلك أنَّها الأنسب في وصف مثل هذه الحالات التي تُلزمُ الكاتب نفسه في اختصار الأحداث للوصول بأقصى طريقة ممكنة إلى النتيجة، التي غالبًا ما يتلَّهفُ القارئ لقراءتها بدلَ أن يهتمَ بما يخرج عن إطار الحدث الذي انصبَّ فكره حوله.

ب . شعرية الموروث الديني في السرد الشعبي:

لا يخلو السرد الشعبي من الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، ولا بالعودة إلى الأحاديث النبوية الشريفة، أو سيرة النبي مُحَمَّد (عليه الصلاة والسلام)، أو حتى قصص الأنبياء (عليهم السلام)، وقد تجلى ذلك في عدة مشاهد في يوميات "الصوشي ورهواجة"، منها:

1المصدر السابق، ص: 92/91.

"عند عودتها وقت الظهيرة تجد صاحب النظارات يجلس عند عتبة دكانه، وقد شمّر عن ساعديه ووضع إناء الماء بين قدميه مستعدا للوضوء... فتستفزه قائلة:

خصتك ق الصلاة... نهار طول وأنت طقع في الرايح والجاي..

فيجيبها قائلا:

ياو ربي لي يحاسب الناس يا رهواجة... "[1]

فهذا المقطع السردي يعكس مدى وعي الناس وإيمانهم ـ رغم عيوبهم ـ بالحساب والعقاب، وبأنّ الله عزّ وجلّ وحده من يحاسب الناس، ويعلم نواياهم، وما تحملهم قلوبهم من خبايا.

ونجد أيضا قول الصوشي لرهواجة: " راكي تلقايها عند ربي... العبد راه عاد مينفعش"[2] ، مبينا لها أنّ كل ما تعمله يجب أن يكون لوجه الله خالصًا، لا لوجوه العباد لأنّ معظمهم لن يذكروا خيرها أو يتذكروه.

وتتجلى مشاهد الحمد والشكر في عديد من المواقف، منها:

"أحمد ربي راك خير من ناس وعر من ناس..

أنا حامد ربي من بكري.."[3]

تتميز أيضا هذه الفئة من الناس بالإيمان الشديد بعالم الجن وبالخوف منه بشكل واضح، فنجدهم يتعوذون في كل فرصة تسنح لهم بذلك، فيقول:

"سمله الرحمن الرحيم من صباحات ها هي.."[4]

"تاعش الضربة سمله الرحمن الرحيم؟؟"[1]

1المصدر السابق، ص: 26/25

2المصدر السابق، ص: 49

3المصدر السابق، ص: 48

4المصدر السابق، ص: 81

"يلحق هاد القاشي الراشي الصوشي وبنت المجاهد... سلمه الرحمن الرحيم من هاذ الزنش المايل"[2]،

" ق الخير.. هاك نضت تقولك بايت مع أهل بسم الله؟؟

طارولك أنت أهل بسم الله وقلتي عنهم لالا..."[3]

كما راح الكاتب سعد نجاع يحكي عن بعض العادات والتقاليد التي يقيمها أهل الحضنة وأحفاد سحنون المتعلقة بالأعياد والمناسبات الدينية كيوم عرفة، أو صوم رمضان وصلاة التراويح، أو العيدين وغير ذلك...

يقول: "يوم عرفة هو اليوم الذي ينتظره القرويون ليصوموه بكل فخر واعتزاز.. وليذوقوا طعم البركة فيه.."[4].

"شهر رمضان هو شهر التوبة والغفران.. وهو الشهر الذي يجدد من خلاله العبد عقيدته مع خالقه، ليستلذ العيش في طاعته ويستطعم الأكل في ذكر أرزاقه..."[5]

"روحي جيبيلي النسخة نقرا شوي قرآن... لعل الله يرفع علينا هذا الضر..."[6]

يبدو من خلال المقاطع التي تم الاستشهاد بها تعلق الناس البسطاء بالله سبحانه وتعالى وإيمانهم به وبما أمر به، فنجدهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يؤدون الصلوات ويؤتون الزكاة، يساعدون الفقراء والمساكين، وغيرها من الأمور والأفعال التي

1المصدر السابق، ص: 59

2المصدر السابق، ص: 121

3المصدر السابق، ص: 91

4المصدر السابق، ص: 85

5المصدر السابق، ص: 173.

6المصدر السابق، ص: 150

تبرز انتماءاتهم الدينية الإسلامية؛ ولقد بينت شعرية الموروث الديني التي استعنا بها في إبراز كل ذلك.

ج. شعرية الموروث الغنائي في السرد الشعبي:

ومثال الموروث الغنائي الذي كان حضوره أقل بكثير من الموروث الديني أو حتى الشعبي، قوله:

"يا ودي واش من رنة تسمعيها..

ابتسمت رهواجة ابتسامة فيها الكثر من الحنية..ثم أردفت:

جيبيلنا "روّح آآآ شايب راوحاااا"

....

جيبلنا "مول الشاش"..

شمّر الصوشي على ذراعيه وشد القصبة جيدا ثم صوب أصابعه ليوزعها على الثقب بانتظام...

....

والله ق من نكملوا نجيبلك ضربة تاع "عينيك يا عينيك"..."[1]

فهذا المقطع يعبر عن علاقة هذه الفئة من الشعب الجزائري بتراثه الفني العريق، فهو يرقى بفنه ويزهو به، ولا يمكنه أن يستغني عنه، أو يغيره مهما تغيرت به الأحوال أو تقدّمت به الظروف.

د. شعرية الموروث الشعبي / الأمثال الشعبية:

أما تقنية الموروث الشعبي التي نختم بها الحديث عن شعرية السرد الشعبي فهي كثيرة الحضور، وتأتي لتخدم النص فتوضح موقفا أو تدعم رأيا من الآراء، وقد تكون نصا

1المصدر السابق، ص ص: 59/60/61.

واضحا دون إحالة أو إيماءة ذلك أنّ لغة الرواية شعبية بالدرجة الأولى، ومثال ذلك نجد قول الصوشي لرهواجة مستفزا إيّاها: "شاو النهار للأمهار وعقاب النهار للقرّح"[1]، وذلك بمعنى أنّ بداية النهار للبنات الشابات الجميلات ونهايته للعجائز، بمعنى أنّه لا يحب أن يلقاها صباحا على عكس كنته الشابة الصغيرة التي يحب أن يصبح على وجهها، فجاء تشبيهها بالمهرة كدلالة على جمالها ورشاقتها وخفتها، بينما شبه عجوزه "رهواجة" بالقرحة وهي من القرح أي الهم والغم والحزن.

وقوله: "واحد يجيب لالاه.. وواحد يجيب ناناه..وواحد يجيب لي تندبلو في قفاه"[2]، بمعنى أنّ الزوجات أنواع وأصناف، فمنهم من يحظى بالصغيرة المطيعة، ومنهم من يحظى بالكبيرة في العمر والعقل، ومنهم من يحظى بالمرأة التي تنكد عليه حياته وتصعب عليه الحياة.

وقوله: "لي ما عندو بنات ما عرفوه وين مات"[3]، وهو مثل شعبي يبرز قيمة الأنثى في البيت، ويبين حبها واهتمامها بوالديها، وقوله أيضا: "كل خنفوس في عين والديه غزال"[4]، وهو مثل شعبي يقصد به أن عين الأم ترى جمال أبنائها دون الانتباه لعيوبهم، وقوله: "ميات سخاب تبع في ركاب"[5]، وهو مثل شعبي قيل قديما والقصد منه كثرة النساء آخر الزمن، وبالتالي انتشار العنوسة، فتصبح عيون مئة امرأة تنظر نحو رجل واحد.

1المصدر السابق، ص:43.

2المصدر السابق، ص: 54.

3المصدر السابق، ص: 160

4المصدر السابق، ص: 160.

5المصدر السابق، ص: 161.

جاءت الرواية مليئة بالأمثال الشعبية كونها عبارة عن حكايات شعبية، فلابد من الاستناد على الأقوال الشعبية التي يستعملها الشعب الجزائري في يومياته، لذلك رصدنا كل الأمثال وحاولنا معرفة معانيها، ومنها:

"آو سال على لميل... وتالي لفعيل هو لفعيل"[1]، ومعناه أنّ الشخص لا يغير من طباعه مهما كبر أو تغيرت مكانته أو أوضاعه، فالطبع يبقى نفسه.

"أنا نحفرلو في قبر أمو وهو هاربلي بالفاس"[2] ، ومعناه أنّ هناك من يريد مساعدته وهو لا يريد ذلك.

"الطير الحر كي يقبض ميتخبطش"[3] ، ومعناه أنّ الرجل الحر حين يسقط لا يتوسل أحدا من أجل مساعدته على النهوض مجددا، بل ينهض من تلقاء نفسه.

"ما عز من الولد ق ولد الولد"[4] ، ومعناه أنّ الوالدين لن يحبا أحدا مثل أبنائهم غير أحفادهم.

"لي كلا خرفان الناس يهيي خرفانو"[5] ، ومعناه أنّ من أهداه الناس هدية وجب عليه إهداء الناس أيضا.

ونختم هذا المبحث بمثل شائع في منطقة الحضنة:

"التبيب كي قالولو: أنت خير من مَن؟

قالهم: أنا خير من ثلاثة:

1المصدر السابق، ص: 172.

2المصدر السابق، ص:84.

3المصدر السابق، ص: 119.

4المصدر السابق، ص: 73

5المصدر السابق، ص: 63.

خير من الحبيب لي يفارق حبيبو.. وخير من لي دير فيه الخير ولا تصيبو.. وخير من لي يرحل ويسكن عند نسيبو.."[1]

خدمت هذه الأمثال الشعبية النص، من حيث أنّها أخذت بخيال القارئ إلى جلسات العجوزين "الصوشي" و"رهواجة" وجسدت له المواقف بشكل أقرب؛ وسواء وظف الكاتب الأمثال الشعبية أو لم يفعل ذلك، لا نلاحظ تقطعًا في مسار السرد، ولا تفككًا في معالم الرواية، بقدر ما تُشعرنا هذه الإضافات / الأمثال الشعبية بأنَّ الشخوص الروائية هي كائنات حية موجودة فعليًا، مفعمة بالحياة ومليئة بالمشاعر والأحاسيس، كل واحدة منهما لها مرجعيتها الفكرية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، كما لها ميولاتها الخاصة، ومزاجها الذي يسّمها ويميزها فقد تلتقي مع غيرها أو تتباين معها، لكنَّها في النهاية تجتمع لتُشكل لنا عالما سرديا شعبيا نستمتعُ بقراءته ونتلذَّذ بتخيله.

خاتمة:

بعد البحث في عوالم الحكاية الشعبية وشعرية اللغة والسرد الشعبي، وصلنا إلى مجموعة من النقاط أهمها:

✓ لقد تناولت الحكايات الشعبية التي تضمنتها "يوميات الصوشي ورهواجة" قضايا فئة عريضة من الشعب والمجتمع الجزائريين، بلغة شعبية ووسائل شعبية تراثية متميزة ومتعددة، عبرت من خلالها عن حياة خالدة في أعماق هذا الوطن المتعدد الأعراق والأجناس.

1المصدر السابق، ص: 58.

- ✓ تعد اللغة الشعبية أخصب مجالات الدراسات والمقاربات والقراءات السوسيو نقدية، ذلك أنّ اللغة الشعبية هي علامة لغوية خاصة من أهم العلامات المنفردة بخصوصياتها.
- ✓ يتميز السرد الشعبي عن الفصيح والرسمي، إذ أنّه يغري القارئ من خلال مفرداته والوسائل الحوارية التي يستمد منها ميزاته: الحوار، التكرار، الأسلوب التعجبي، الأسلوب الهزلي، تفخيم الألفاظ...
- ✓ ساعدت اللغة الشعبية الكاتب في التعبير عن مكنونات شعبه، وعن حياتهم اليومية والبسيطة بالشكل الذي يريحه، وبالصيغة التي يجد نفسه فيها حرًا ومنطلقًا.
- ✓ ظهرت ملامح الشعرية التي أعطت خصوصية للسرد الروائي الشعبي، في عدَّة أشكال هي: شعرية اللغة، شعرية الجمل القصيرة، شعرية الموروث الديني/ الغنائي/ الشعبي، وما إلى ذلك...